منهج ابن جني في شرح شعر المتنبي

Ibn Jinni's approach to explaining Al-Mutanabbi's poetry

خذري عالمة[1]

[1]جامعة عباس لغرور خنشلة (الجزائر)مخبر الشعرية العربية باتنة1

تاريخ الاستلام: 2022/01/17 تاريخ القبول: 2022/05/06 تاريخ النشر: 2022/12/15

ملخص: إن القراءة التأويلية هي الأساس الذي تبنى عليه كل القضايا المتعلقة بالفهم والتفسير، وعليه استعان شراح المتنبي بهذه الاستراتيجية التي تتأرجح بين توجيهات موجودة في النص الشعري (المتنبي) وبين سياقات مضمرة في ذاتية القارئ الشارح، والشارح يسعى إلى اختراق المعنى المرئي للإمساك بالسر القيمي أي تحديد العوالم التي تخفيها اللغة الظاهرة في نصوص المتنبي. وعليه انفتحت التأويلات على شعره ووصلت ما يقارب ستين شرحا تأويليا، وهذا يعود لخصوصية نص المتنبي وتفرده.

وقد توصلت الدراسة إلى كون نص المتنبي نص متعال يسعى إلى الخلق والتجدد مع كل قراءة.

كلمات مفتاحية: تأويل؛ شرح؛بلاغة؛ تلقي؛دلالة؛معنى

Abstract: Hermeneutic explanation is the foundation on which all the issues related to understanding and interpretation are built, Therefore, Al Mutanabbi's explainers used this strategy that oscillates between instructions that already exist in the poetic text (Al Mutanabbi), and implicit contexts in the subjectivity of the reader and the explainer. The explainer aims to penetrate the visual meaning in order to reach the valuable secret, which means in order to identify the worlds hidden by the language shown in Al Mutanabbi's text. This comes back to the privacy and the uniqueness of Al Mutanabbi's text, also to the explainer's cleverness in different sciences and knowledges, grammatically, rhetorically and the meanings that establishin which the artistry is parallel to the original speech.

Keywords: hermeneutic; explanation; rhetoric; semantics; receptivity; meaning

المؤلف المرسل: عالمة خذري، **الإيميل**: khedri.alma@univ-khenchela.dz.

1.مقدمة :

إن المشكل التأويلي في الثقافة العربية القديمة قد طرح في حدود الشروح الشعرية، أي في إطار علم يقترح نفسه لفهم النص، ولفهمه انطلاقا من قصده، وعلى أساس ما يريد أن يقول وإذا كان الشرح قد أثار مشكلا تفسيريا أي مشكلا هيرمينوطيقيا، فذلك لأن أي قراءة للنص مهما كانت مرتبطة بالجوهر.

وهكذا فإن قراءة شعر المتنبي مثلا تطلب آليات معرفية وفلسفية من أجل استنطاق نصوص شعره للوقوف على مضمراتها ودوالها التاريخية والثقافية والدينية والرمزية.

وإن أي تأويل لشعر المتنبي ما كان يمكنه أن يكون من غير أن يستعير من طرق الفهم المتوفرة في عصره، كالأسطورة، والمجاز، والاستعارة، والقياس إلى آخره، وأن هذا الارتباط التأويلي بالمعنى المحدد لشرح النص بالفهم بالمعنى الواسع لإدراك الإشارات قد جرى التحقق منه بواسطة واحدة من المعاني التقليدية لكلمة التأويل، التي جاءت تنافي الدراسات القديمة التي تعني أخذ المعنى على غير محمل الكلمات وتجاوز الظاهر في الدلالة الخفية.

وشعر المتنبي يزخر بالدلالات الرمزية، والبلاغية، والنحوية، والأسطورية، استوقفت الدارسين من قبل وتناولوها بالدراسة والتأويل أسفرت عن كم من الأعمال الأدبية والنقدية، وشكلت بؤرة تواصل بين القدماء والمحدثين، وأثارت بينهم تساؤلات بعضها طرح وبعضها في حاجة إلى طرح.

وقد تعددت الدراسات التي تناولت شروح الشعر العربي، منها الشروح المعجمية، والبلاغية، والتأويلية. وقدمت هذه الشروح – على تنوعها – المكونات (النقدية والبلاغية واللغوية) لهذه المادة المعرفية. ومن ذلك شروح الشعر الجاهلي لأحمد جمال العمري، وكتاب شرح الشعر عد العرب لأحمد الودرني. وكتاب المتغير الأدبي في شروح سقط الزند لأبي العلاء المعري وغيرهم من الدارسين الذين اشتغلوا بهذا الفن.

إشكالية البحث وفرضياته:

-ما مفهوم التأويل في السردية العربية؟

-هل استطاع ابن جني أن يفسر الرسائل الشعرية في شعر المتنبي؟

-هل كشفت الشروح الشعرية – على تنوعها- على بنية النص الشعري للمتنبي؟

-هل تحمل الشروح الشعرية للمتنبي في طياتها المسكوت عنه، لكي تفتح أفقا جديدا للاستكشاف؟

ولتناول هذه الإشكالية يتعين دراستها من خلال هذه الفرضيات:

1) مفهوم التأويل
2) التأويل المرجعي
3) التأويل اللغوي
4) التأويل البلاغي
5) التأويل الدلالي.

تهدف هذه الدراسة، إلى الكشف عن العمل الإجرائي للشروح الشعرية، التي تناولت شعر المتنبي، كل حسب تصوره في البحث عن استراتيجية النص وبلاغته، والتفتح على تفريعاته المختلفة (لغوية،نحوية،بلاغية)، للربط بين المؤشرات النصية ليتم التأويل والتخريج بينها.

اعتمدت الدراسة المنهج التأويلي، مستثمرة في كل ذلك آليات الوصف،والتحليل، والمقارنة من أجل الوقوف على عمق النص ودلالاته.

1- مفهوم التأويل:

1.1 لغة:

عرفه ابن منظور على أنه «نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل، لولاه ما ترك ظاهر اللفظ» (ابن منظور، صفحة 172)

في حين عرفه الفيروز آبادي فقال: «أول الكلام تأويلا، وتأوَّل وقدره وفسره، والتأويل عبارة الرؤّيا» (الفيروز آبادي، صفحة 1245)

وغير بعيد عن المعنيين السابقين نجد عبد السلام هارون يعيده إلى جذر" أول ومنه أوّل الشيء إليه، أرجعه والمآل العاقبة والمصير، وأول الكلام فسره ورد إلى الغاية المرجوة منه وتأول فلان الأمر ترسمه وتحراه» (هارون، صفحة 125)

وبذلك يكون المعنى الجامع بين التعريفات اللغوية أن التأويل هو الرّد والرجوع إلى الأصل أي إلى المعنى المقصود والحقيقي، لأن التأويل طاقة دلالية مبطنة، والتأويل يقوم ببناء مقاصد جديدة ليست معطاة من خلال الوضع النصي المباشر مقيد بغايات موجودة في عمق النص، وهي المعنى المقصود والحقيقي.

وهذا ما يحيل عليه المعنى الاصطلاحي للتأويل كما سيتضح.

2.1. التأويل اصطلاحا:

حظي التأويل باهتمام واسع من قبل الدارسين قديما وحديثا سواء أكان متعلقا بالنصوص الدينية أو الفلسفية، أو الأدبية ففي المجال الديني نجده ارتبط بالخطاب القرآني لقول رسول الله (ص) لكل آية ظهر وبطن، ولكل حرف حد ولكل حد مطلع». (السيوطي، صفحة 236)

فهو تأويل موجه لأنه مقيد بغايات يتم الوصول إليها من خلال «ترك ظاهر اللفظ إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك هذا الظاهرٍ» (السيوطي، صفحة 236)، وبذلك فهو يدعو إلى الكشف عن معنى" مستتر لا تراه العين المجردة ولكنه موجود، تماما كما توجد الأمراء في الأساطير والخرافات والحكايات المجازية وهو بذلك تشبيه بالغائية الإلهية، التي هي مصدر النصوص الدينية ومنتهاها». (السيوطي، صفحة 236)

وعليه يتأسس التأويل القرآني على علوم لا غنى له عنها لفهم النص وتوجيه المعنى، وفي هذا يقول السيوطي: «التأويل ما استنبطه العلماء العاملون بمعاني الخطاب الماهرون في آلات العلوم، وقال منهم البغوي والكواشي: التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها، ومما بعدها تحتمله الآية، غير مخالف للكتاب والسنة عن طريق الاستنباط». (السيوطي، صفحة 283_282)

إلا أن حركة الذهن الباحثة عن معنى دلالي للنص القرآني، لا تقف عند شخص أو عصر لاختلاف الأفهام في استقصاء المعنى وتكوينه والتخمين فيما لم يرد فيه نصوص ثابتة، فيتم صرف ظاهر النص إلى الباطن لطرح افتراضات تأويلية لبناء الفهم، لأن النص القرآني يحمل آيات محكمات وأخر

متشابهات لقوله تعالى: «هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ...».

والتأويل القرآني يعني خروج للدلالة من المتشابه إلى المحكم، بحيث ينطلق المؤول من المعنى الظاهر الحرفي إلى المعنى الضمني (الخفي) أو ما يسميه " بانوفسكي" الدلالة الثانوية التي تشير إلى المضان الرمزي في كل عملية تمثيل أن الاستعمالات الاستعارية للأشياء والكلمات والظواهر، ما يطلق عليه في السميائيات الدلالة الإيحائية لكي يصل في نهاية التأويل إلى وضع اليد على ما يسميه المعنى الجوهري". (بن كراد، 2012، صفحة 37).

والمؤول للنص القرآني عليه امتلاك مقومات تأويلية بليغة (الديني، العقدي، اللغوي، النحوي، البلاغي، التاريخي، الاجتماعي...)، لأن التأويل حركة ممتدة في اتجاه بناء جديد لمعنى لم توضحه السنة ولا أقوال الصحابة، مبني على الفكر التأويلي الترجيحي للمعنى بالمقصود (بن كراد، 2012، صفحة 37).

وإذا نظرنا إلى مفهوم التأويل عند النقاد الغربيين المحدثين نجده يعود إلى " شاير مايخر في الدفع بالتأويل إلى حدود أوسع من حدود النص الديني، إذا كان ذلك المسعى يرمي في الواقع إلى جعل التأويل ينسحب عن جميع النصوص بصورة عامة سواء أكان نصا تاريخيا، أو نصا أدبيا، أو نصا تشريعيا، أو أي نص آخر".(إبراهيم وآخرون، 2009، صفحة 78)

والتأويل عند غدامير يرتبط بالمؤول الذي يكشف الدلالة المضمرة فهو " لا يحاول (المؤول) وبحضور نص ما تطبيق معيار عام لحالة خاصة، وإنما ينصب اهتمامه على الكشف عن دلالة أصلية تماما متوازية في المكتوب المراد مراجعته" (غدامير، 1999، صفحة 89)

وهو عند بول ريكور لا يهتم بتفسير النصوص بل يتعدى ذلك لمحاولة فهم الذات وبذلك نقول إن التأويل" فك رموز مختلف تعبيرات جهدي من اجل الوجود لمعرفة من أنا".(بن حسن، 1992، صفحة13)

أي يقوم بجهد لإرجاع المعنى الظاهري إلى المعنى الباطني الأصلي المقصود، وبذلك يكون رهان التأويل مفتوح على مغامرة لا نهائية، لأن الإيحاء يولد معنى مزدوجا يشوش صفاء التواصل ويفتح نسقا لتعددية المعنى.

أما التأويل في الحقل الأدبي فقد مثل فيه الشعر مجالا ثانيا مساعدا على ممارسة التأويل، وقد اعتنى الباحثون المعاصرون بدراسة الشروح المصنفة، فتعددت زوايا النظر إلى تلك المصنفات إذ اتجه بعض الباحثين نحو البحث فيها عن صورة الشاعر ناظم الديوان في نظر الشراح، فمثلت الشروح من هذه الزاوية أداة عمل بها الدارسون على تبين السمات المميزة لفن الشعر عند ناظم الديوان" (القلفاط، 2004، صفحة 2).

والشروح الشعرية تمثل ممارسة نقدية تأويلية تقوم على الغوص في عمق الشعر، ومحاولة تأويل المعنى وإخراجه للمتلقي، ولذلك على من يتقدم إلى شرح وتأويل الشعر أن تتوافر لديه عدة ملكات، تكون عدة له يفتح مغالقالشعر، خاصة إذا كان هذا النص الشعري متعاليا صادر عن شاعر حاذق كالمتنبي وهذا ما سنكشف عنه في الشروح التأويلية لشعره حسب المستويات التالية:

2. التأويل المرجعي:

يتأسس هذا النوع من المقاربة التأويلية عند الشراح، على تناول كل مفردة من مفردات البيت الشعري على حدة، أو المفردات المحورية وهذا أغلب منهج الشراح في تأويل شعر المتني، بإرجاع المفردة إلى جذرها المعجمي كما في هذا المثال:

يقول المتنبي:

قربّ كئيب تبدّى جُفُونُه *** ورُبَّ كئيب الدَّمْع غَيْرَ كئيب

قدم ابن جني المعنى المعجمي للفظة كئيب فقال: " الكئيب الحزين، والكآبة الحزن" وفي هذا النموذج اكتفى الشارح بإيراد معنى اللفظة معجميا دون أن يورد المعنى الدلالي للبيت الشعري كما يفعل في منهجه التأويلي للشرح.

ويعرض لمعاني الألفاظ ليشرح الغريب منها، وفي النموذج التالي وقف عند أكثر من لفظة وشرحها. منفصلة مع أن المعنى قد يكون بتكاملها، وإن كان يتدارك ذلك في منهجه التأويلي ليورد في النهاية المعنى التأويلي التام.

يقول المتنبي:

لهفان يَستوْبِي بك الغضب الورى *** لَوْ لَمْ يُنَهْنِهْكَ الحِجى والسّؤدُدُ

شرحه ابن جني فقال: " اللهف حرارة الخوف من شدة الكرب ورجل لهفان، وامرأة لهفى وقوم لهاف، يستوبي بالهم فأبدل الهمزة ياء تخفيفا وضرورة وليس قياسا" أي يفنى الورى وينهنهك يثنيك، والحجى العقل والسؤدد: السيادة" (ابن جني، الصفحات 334-335)،وقد تتعدد معاني اللفظة الواحدة فيتيه الشارح المؤول في تحديد المعنى الحقيقي الذي يقصده الشاعر.

إن الشرح المعجمي لألفاظ الأبيات الشعرية يعين على الوصول إلى الدلالة في النص الشعري لكنها في كثير من الأحيان قد تضللنا ،لأن المفردة الواحدة في الشرح قد تنهض على كلمات، ولأن المفردة ضمن إجرائية التأويل تؤدي فعالية المقاومة التي لا تقبل بالمطابقة، فهي تقترب من المعنى ولا تمسكه ف" الاحتماء بالحدود التقريرية للوحدات المعجمية وتأليفاتها الظاهرة (المعنى الحرفي) أو درجة الصفر في الدلالة ،لا يشكل سوى لحظة ضمن ظاهرة لمستتر لا يمكن الكشف عنه، إلا من خلال إسقاط سيرورات تأويلية ،تتخذ من هذا المعنى بالذات منطلقا لا غاية نهائية، كما يقتضي ذلك التصوير المحايث للمعنى" (بن كراد، 2012، صفحة 366).

كما أن السياق يوجه الدلالة ضمن مجموعة احتمالات تأويلية، لأن الخطاب الشعري قائم على مجموعة من السياقات الخارجية التي تتساند فيما بينها مشكلة المعنى " لإدراك المعاني الخفية بالانطلاق من مؤشرات نصية ظاهرية (لغوية ورمزية وبلاغية) إجراء تأويلي ذو فعالية قوية، يتحدد بمقدار إحساس المؤول بالطاقة المعنوية التي يمنحها إياه إدراكه لهذه الأبعاد التقابلية، وهي تزوده بما يكفي من الأدوات القرائية لاقتحام التباسات المعنى وغوره في طبقات النصوصوفيما حوله، بل وفي نفسه كذلك". (البازي، 2010، صفحة 265) دلالية تؤسس لقاعدة الفهم ويتم استكمال المعنى وتشكله بالسياقات الأخرى لإنشاء تصور متكامل حول الدلالة المقصودة في النص فهي: " تكمل النقص وتتم النواة وتحسنها وتحيط بها من جميع الجوانب إلى أن يتضح معالم الجسم الدلالي كاملة، فتتابع سيرها بشكل أخطبوطي في بحار التأويل الشاسعة (البازي، 2010، صفحة 265)، هكذا

ينتقل الشارح ابن جني من تفسير الغريب من الألفاظ، ثم ينفذ إلى الميدان اللغوي والمسائل النحوية ليكشف عن مغالق شعر المتنبي وهذا ما سيتضح في التأويل اللغوي.

3. التأويل اللغوي:

تمثل العناية بالإعراب في تأويل شعر المتنبي أكبر اهتمامات الشراح القدامى وشغلهم الشاغل، وقد استعانوا بوظائف الكلمات ليصلوا إلى دورها في التركيب ويوضحوا مساهمتها في أداء المعنى.

فعملية التأويل بالإعراب إنما هي التعريف بوظائف الكلمات في البيت فإذا اتضحت أتضح معها المعنى وفي هذا يقول عبد القاهر الجرجاني: " فلست بواجد شيئا يرجع صوابه، إن كان صوابا وخطؤه إن كان خطأ إلى النظم، ويدخل تحت هذا الاسم إلا وهو معنى من معاني النحو، قد أصيب به موضعه ووضع في حقه (...) ،فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم، أو وصف خمرية وفضل فيه إلا وأنت تجد مرجع تلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصوله ويتصل بباب من أبوابه (الجرجاني، 2001، صفحة 70)،فالمعاني النحوية توجه الدلالة فتغير في إعراب اللفظة يلحقه تغيير في المعنى ،فيكفي أن يطرأ تغير على مستوى الحرف أو الحركة حتى يحدث أكثر من منعطف تأويلي .

وتتفاوت درجات التأويل النحوي عند الشراح وتبلغ قمتها عند ابن جني الذي يعد " عبقري اللغة العربية بعد الخليل بن أحمد وسيبويه، وتلميذ أبي علي الفارسي النجيب وصاحب الكتب القيمة المبتكرة الخصائص، وسر صناعة الإعراب والمحتسب وغيرها يعد وهو الصديق النحوي للمتنبي"، (السيد، 2012، صفحة 29) وجاءت الشروح الشعرية للمتنبي محاكاة له،وعموما فإن شروح القرون الأولى " أشبه بالمعاجم اللغوية بما تتضمنه من مواد اللغة وعناصرها واشتقاقاتها ومعاني ألفاظها" (العمري، 1981، صفحة 257)،وقد استخدم الشراح الآلية الإعرابية النظرية والتطبيقية كما فعل ابن جني،والمعري، والبرقوقي والواحدي، وغيرهم من الشراح، فلا تكاد تخلو كتبهم منه واقترب بذلك شرحهم من كتب النحو، مثال ذلك: قال المتنبي:

إنْ كانَ يُدْعَى الفَتَى إلاَّ كذا*** رَجُلاً فَسَمِّ النّاسَ طُرّاً إصْبَعاَ

أوله ابن جني فقال:

رَجُلا منصوب وبين سبب النصب فقال: " لأنه مضاف ثان" وهو الذي يقال له خبرا ما لم يُسَمَّ فاعله" (ابن جني، صفحة 403).

يمثل ابن جني أوّل شارح تطرق إلى المسائل النحوية بصفة معمقة في شرحه لديوان المتنبي في كتابه " الفسر"، وتدخلاته كانت عديدة وغزيرة وجهت خطابه التأويلي نحو اتجاهين، أحدهما التأويل عبر قناة النحو النظري حيث " ينبه إلى مدى فهمه العميق لمسائل النحو النظرية، مما يدل على اطلاعه الواسع للمصنفات النحوية قبله، كما أثار فيها بعض المسائل النحوية وأبرز مواطن الخلاف فيها ،كما ينحو هذا الجانب لتحقيق هدف ومطمع تعليمي للمتلقي، وفي هذا المستوى يتضاءل إحساسه بالمعنى بدرجة واضحة ليحتل الهدف التعليمي المقام الأول" (خذري ، 2014_2015)،لأن الهدف من الشرح هو التعليم والتثقيف ،إلى جانب الإفهام لتوضيح الدلالة المتوارية خلف النص مثال ذلك :

قال المتنبي:

إذا كان ما تنويهِ فِعْلاً مُضارِعًا *** مَضَى قبلَ أنْ تُلقى علَيهِ الجَوازِمُ

شرحه ابن جني فقال: " المضارعُ ما كان في أوّله إحدى الزّوائد الأربع مثل: أقوم، وتقُوم ويقُوم.

يقول: إذا نوى فعلا أوقعه قبْلَ فوته أن يقال لَمْ يقُمْ فيدْخُل حيّز ما لم يفْعل، ولفظ المضارع يصلح للزمانين الحال والاستقبال، وإنما أراد هنا ا لاستقبال حتى يصبح المعنى، ألا ترى أن الفعل الحاضر لا يجوز أن ينوب به ولا أن يؤمر به، ولا ينهى عنه؟ (ابن جني أ.، 2004، صفحة 395)

وجه ابن جني تأويله انطلاقا من توضيح القاعدة الإعرابية نظريا وهنا ركز على الفعل المضارع.

غير أننا نرى أن التأويل وفق الآلية النظرية اللغوية هو نوع من الاستطراد، لأنه لا يخدم معنى البيت ولا يساهم إسهاما فعالا في تأويله وما أكثر ما استطرد ابن جني والمعري والواحدي وغيرهم من الشراح حتى أصبح الأمر غاية في ذاتها.

ونجد التأويل عبر الآلية الإعرابية التطبيقية يطغى على الجانب النظري عند ابن جني، فالشارح يستعين بالإعراب ليبين وظائف الكلمات في الجمل ويقود إلى تأويل البيت الشعري لأن إدراك "البنية

النحوية على وجهها الصحيح هو السبيل على اكتشاف البنية الدلالية المتحجبة خلف غشاء من العلاقات التركيبية التي تتفاوت بساطة وتعقيدا " (الودرني، 2009، صفحة 57)، ولهذا يعد الشرح اللغوي من المرتكزات الأساسية في عملية التأويل ، فالنص الشعري ماهو إلا بنية تشتمل على محتوى مركب من وظائف لغوية ، وصحتها شرط أساسي لبلوغ معانيها الدلالية ، ومن نماذج ذلك قول المتنبي :

إذا استَقبَلَتْ نَفسُ الكريمِ مُصابَها *** بِجُبْثٍ ثَنَتْ فاستَدْبَرَتْهُ بطيبِ

شرجه ابن جني فقال:

" رجلاً منصوب أي إن إصابتكم رجُلا ظُلم" فبعد عملية التطبيق الإعرابي ينفتح الفهم التأويلي عند الشارح.

وفي كثير من الأحيان نجد الذات الشارحة تقف أمام حيرة في تأويل النص ،نظرا لما يحكم أبيات المتنبي من لغة انزياحيه تشكل انتهاكا للتوقع وتخلخل بنية الفهم لدى المتلقي إذ تخلق فجوة من التوتر الدلالي تثير وعي المتلقي المؤول وتستفز طاقته للتحاور مع النص وتأويل أبعاده المختلفة" لإدراك البنية النحوية على –وجهها الصحيح –فهو السبيل إلى اكتشاف البنية الدلالية المتحجبة خلف غشاء من العلاقات التركيبية التي تتفاوت بساطة وتعقيدا" (الودرني، 2009، صفحة 75)، وما يزيد من التوتر ويخلق العتمة الدلالية –عند الشارح– هو اختلاف الرؤيا الإعرابية وانفتاحها على أكثر من حالة، من ذلك:

قال المتنبي:

أنّى يَكُونُ أبَا البَرِيّةِ آدَمُ *** وأبوكَ والثّقَلانِ أنْتَ مُحمّدُ

نجد ابن جني يستغرب من عملية التقديم والتأخير التي قام بها المتنبي في الفصل بين المبتدأ والخبر، فقال: " كيف يكون آدم أبا البرية، وأبوك مُحَمَّد وأنت الثقلان؟ ففصل بين المبتدأ الذي هو أبوك وبين الخبر الذي هو مُحَمَّد بـ أنت، والمعنى أنت جميع الإنس والجن" (ابن جني أ.، الفسر "شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي، صفحة 339).

ولم يوافق كل من العكبري والمعري على خلخلة البناء التركيبي للبيت الشعري فقال المعري " في هذا تعسف لأنه فصل بين المبتدأ والخبر" وقام بتحديد المعنى في رأيه على أن الممدوح " يقوم مقام الجن والإنس بفضله وكرمه، ويستغرب ألا يكون آدم أبا البرية، وهو موجود أبوه مُحَمَّد المعروف بفضله" (العكبري، 1978، صفحة 240).

وقد وافق ابن فورجة على هذا النوع من الانزياح الشعري القائم على عملية التقديم والتأخير، مادام ذلك لا يخل بمعنى البيت فقال: " في اللفظ تقديم وتأخير إذا تصورته لم يشتبه المعنى" (ابن فورجة، 1987، صفحة 113)، والمادة النحوية كانت طاغية في نصوص الشراح التأويلية، وقد أطنبوا في بعض المسائل والقضايا النحوية حتى صارت تضاهي كتب النحو أو تفوقها.

ورغم أن بعض المشاغل النحوية المثارة في مسار تأويل الشراح لا تتعلق مباشرة بعملية الشرح التأويلي ولا تكاد أحيانا تخدمه، إلا أن نزعتهم النحوية الموسوعية غلبت على شروحهم، وطغت عليها حتى صارت منهجا إجرائيا يتخذونه مجالا خصبا لتوجيه المعاني والدلالة فتكون الإفادة من جهتين:

* الإفادة من القواعد النحوية واللغوية.

* الإفادة من المعاني الدلالية.

4. التأويل البلاغي:

تفطن الشراح العرب إلى أن البلاغة مقوم من مقومات الخلق الأدبي لاسيما في الشعر، من خلال المباشرة التأويلية بتتبع وجوه البيان وأضربه من كناية وتشبيه ومجاز إذ أن " البنيات البلاغية أجزاء نصية يقوم عليها الفهم وبناء المعنى، وكثيرا ما يتم الوقوف عندها لإيراد الاحتمالات الممكنة فهي إلى جانب مواد اللغة والإعراب ثابت نصي بارز لتشكل أفعال التأويلات" (البازي، 2010، صفحة 203)، إذ لا يستغني شرح من شراح الشعر على معرفة ما في الأشعار من نحو بل يستندون إلى استغلال ثقافتهم البلاغية لتأويل الشعر من الزاوية الأدبية والحس بالمواطن الجمالية من تجلية الصور البيانية التي تلون نص الشاعر ،ومن أمثلة ذلك:

قال المتنبي:

كأنّ الجُفُونَ على مُقلَتي*** ثِيابٌ شِققْنَ على ثاكِلِ

أوله العكبري بلاغيا فقال: " شبه مقلتيه في حزنهما بتلك الثاكل في وجدها، وتبعيد السهر لما بين جفونهما بتشقيق الثاكل الثياب حدادا، وهذا ممّا شبه فيه شيئان بشيئين، وهو من أرفع وجوب البديع" (البرقوقي، 1986، صفحة 739)، فالمعنى يتولد من تشبيه طرف بطرف من خلال جامع مشترك مركب وهو في المثال أعلاه "الحزن ".

إذن يتم تأويل المعنى ويتولد من خلال قيام المؤول (الشارح) فهم الظاهرة البلاغية وتحديدها (تشبيه، استعارة، كناية...) وبعدها يقوم بتوجيه دلالة البيت الشعري نحو التخريج المقصود لأن " أفعال التأويل داخل خطاب الشرح تقوم على مواد النص وبنياته أولا، وكما هو الحال بالنسبة للغة والإعراب والصرف فإن البنيات البلاغية مؤشر بنيوي نصي هام، ينطلق منه بناء المعنى وتتفاعل معه مواد خارجية وسياقية تساهم في الدفاع عن فهم من الأفهام، وعن قراءة من القراءات ساعية إلى تحقيق أعلى درجات المقبولية" (البرقوقي ، 1986، صفحة 206)، وابن جني في كتابه الفسر حشد جملة من الملاحظات البلاغية وجه بها شرحه ، حيث قارب التشبيه والاستعارة، وتكلم عن المجاز والكناية والفنون البديعية ،ونورد مثالا آخر يوجه فيها الشارح الدلالة وفق الآلية البلاغية (الإستعارية). قال المتنبي:

فَتىً يملأ الأفعال رأيًا وحكمة *** ونارةٌ أحيانًا يرضَى ويغْضَبُ

يؤولها ابن جني فيقول: " يملا الأفعال استعارة وفيها مبالغة ولا تقع الاستعارة إلا للمبالغة ولولا ذلك لكانت الحقيقة لا يجوز غيرها. والبادرة البديهية أي: فهوعلى كل حال واصل رضي أو غضب" (ابن جني أ.، الفسر "شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي، 2004، صفحة 772).

بين الشارح الاستعارة في البيت الشعري أعلاه متمثلة في " يملأ الأفعال" مبينا أنها موضوعة للمبالغة باعتبارها أحد المعايير الفنية التي يتضح بها جمال الشعر، فهو ينهض على جمال التصوير القائم على (التشبيه والاستعارة والكناية...) والذي يسير من المجرد إلى المحسوس، والشارح المؤول مدعو إلى

الاهتداء إلى هذه اللطائف البلاغية باعتبارها طرائق أداء المعنومن أمثلة التأويل وفق التوجيه البلاغي الكنائي مايلي:

قال المتنبي:

لا تَجزِني بضَنًى بي بَعْدَهَا بَقَرٌ *** تَجزي دُموعيَ مَسْكوبًا بمسكُوبِ

أوله الشارح (ابن جني) فقال: " وكنّى بالبقر أيضا هنا عن النساء، يقول: لا تجزني بضنى أي: لا يضنيك كما ضنيت وإن كنّ قد تجزى دموعهن كما يجري دمعي، فلا يضنين كما ضنيْتُ، وهذا في الدّعاء بمنزلة قوله أيضا في الخبر:

أبدَيْتَ مِثْلَ الذي أبْدَيْتُ مِنْ جَزعٍ *** وَلَمْ تُجنِي الذي أجنَيْتُ من أَلَمِ (ابن جني أ.، 2004، صفحة 534)

يحاول الشارح أن ينطلق من المؤشر البلاغي (الكناية)، ليوجه المعنى ويفتح به مغالق النص، فينطلق فعله التأويلي من تحديد موضع الكناية فيما قاله: " وكنّى بالبقر عن النساء" والمقصود محبوباته بحيث بكين على فراقه لكن ألمه من هذا الفراق كان أكثر ألما، ولمساندة الفهم التأويلي استعان المؤول ببيت شعري لتكتمل القراءة وتتوسع.

وكثيرا ما تفصح البنيات البلاغية في النص الشعري عن اختلاف في الفهم من مؤول إلى آخر لأن تعدد المعاني هو السمة المميزة لنص المتنبي المنفتح على عدة احتمالات تأويلية، يختار المؤول واحدا منها بما يلائم المؤشرات النصية، فيخرج المعنى التأويلي من حيز الكمون النصي إلى الوجود بالفعل.

ومن نماذج ذلك مايلي:

قال المتنبي:

تجني الكَوَاكِبُ مِنْ قَلائِدِ جيدِهِ *** وتنَالُ عَيْنُ الشمْسِ مِنْ خُلخَالِهِ

يرى البرقوقي أن التشبيه في البعد لا في الصورة فيقول:

" ما كنّا نظن أن نراه فلما رأيناه صرنا كأننا نرى بقلائده الكواكب وبخلخاله الشمس، يعني رأينا في المنام ما لم نصل إليه في اليقظة في حين كان تأويل المعري مختلفا فيما يخص التشبيه الذي وجه المعنى

عنده على النحو التالي: شبه ما في قلادته من الدّر بالكواكب وخلخاله بعين الشمس، يزيد لمعان خلخاله وذكر أنه يجني الكواكب من تلك القلائد بتناوله لها وينال عين الشمس من تلك الخلاخل بلمس إيّاها، قال فاحرز قصبات التشبيه فيما شبه به مما لا زيادة عليه في حسن النظر، وأشار إلى المعانقة والملامسة بأحسن إشارة فجعل مد يده إلى تلك الفرائد جنبا للكواكب وإلى الخلخال ليلا لعين الشمس (البرقوقي ، 1986، صفحة 171) .

هكذا يطرح البناء البلاغي التشبيهي في بيت المتنبي احتمالا ت تأويلية مختلفة ،انطلاقا من العملية التصويرية لفهم الصورة التشبيهية كما في المثال أعلاه، فالتوجيه الدلالي مختلف بين البرقوقي، والمعري مما وجه التخريجات الدلالية توجيها مختلفا، بحيث تدعم الذخيرة النصية المؤول لترجيح هذا المعنى أو غيره،والبلاغة تخدم المعنى وتوضحه وتكشفغوامضه في نص المتنبي، وفي الحقيقة فإن الاستعانة بالبلاغة عند الشراح لم تأت من علوم البلاغة الثلاث ،إنما كان ذلك أساسا من علم البيان وخاصة التشبيه كما هو ظاهر في النماذج السالفة الذكر.

5. التأويل الدلالي:

في الحقيقة لا يمكن أن يكون المعنى دائما في ظاهر النص، والنص الذي يقع تحت طائلة الفعل التأويلي هو النص الإشكالي (المتعالي) الذي لا يستجيب بطواعية إلى أفعال الفهم ،كما لا يبوح بمكنوناته بيسر وهذه سمة شعر المتنبي الذي " لم يترك تعبيرا غريبا أو أسلوبا غير مألوف في بيئة مثقفة إلا وركبه متعمدا :إن الشعر عنده ليس تعبيرا عن خواطر وجدانية فحسب وإنما هو تعبير عن ثقافة عميقة يريد لها صاحبها أن تظفر بالعناية الخاصة من الشراح والمفسرين، متبعا في ذلك أسلوبا انزياحيامستعرجا لا يمكن أن يسلكه الآخرون دون سقوط فني أو جمالي" (الخطيب ، 2009، صفحة 261)،فالنص المتعالي يحمل في طياته بشكل واع أو غير واع مواطن معتمة يعتريها الغموض، الناتج عن تشكيله بطرائق رمزية وإيحائية وتصويرية، وكذا مجازية تفتح فضاء خاصا يربك القارئ ويفتح أفق التأويل الدلاليوسنرصد حركة التأويل الدلالي في الشروح الشعرية لنص المتنبي، مثال ذلك:

قال المتنبي:

طَبْعُ الحَدِيدِ ينْزَعُ مِنْ أَجْنَاسِهِ *** وعليٌّ الَمطْبُوعُ مِنْ آبائِهِ

أول الشارح ابن جني هذا البيت الشعري فقال: " أيْ الحَدِيدُ يَنْزَعُ إلى أجْنَاسِهِ مِنَ الحدِيدِ إنْ جيّدًا وإنْ رديئًا وعليٌّ ينزَعُ إلى آبائِهِ في شَرفِهِمْ وكَرَمِهِمْ" (ابن جني أ.، الفسر "شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي، صفحة 57) وقد أول معناه بإشارة إلى المعنى الكلي بصورة بسيطة ومتكاملة، موضحا هدف الشاعر من المعنى وهو عبارة عن صياغة نثرية لدلالة البيت الشعري.

وإن كان ابن جني في منهجه لا ينتهج الإيجاز ولا يعطي المعنى الإجمالي مباشرة، وإنما يفصل بإزالة غوامض الألفاظ والتراكيب والإعراب، كما يستند إلى شواهد مختلفة شعرية ونثرية لإزالة غوامض الأبيات الشعريةّ.

وقد تنفتح دلالة البيت الشعري عند الشراح على أكثر من معنى، لا عند الشراح المختلفين فقط بل عند الشارح الواحد كما في هذا النموذج التالي:

قال المتنبي:

وقال الواحدي في ذلك إن " لهذا وجهين أحدهما أن المتنبي أتاه بهدايا وألطاف ولم يكافئه عنها، والآخر: أن المتنبي كان يأكل من خاص ماله عنده وينفقه على نفسه مما حمله وهو يمنعه من الارتحال، فكأنه يأكل زاده حين لم يبعث إليه شيئا ومنعه الطلب" (البرقوقي، 1986، صفحة 433)،ولم يرجح الواحدي أحد المعنيين على الآخر وإنما جعل الدلالة مفتوحة عليهما " ففي حالة وجود تعددية في المعنى يتدخل مفهوم التشاكل ليصف ويفسر الأوليات والقواعد التي ينبغي اعتمادها لإنتاج تأويلات ممكنة، واستنادا إلى هذه القواعد يحدّد درجة مقبوليتها وإمكانيتها وملاءمتها" (بوعزة، 2011)، ويظل الشارح يولد معان جديدة في تشاكلت متنوعة قصد تنمية النص الشعري وتقريبه للمتلقي، وسنورد نموذجا تأويليا للمعري:

قال المتنبي:

عُيُونُ رَواحِلي إنْ حِرْتُ عَيْني *** وكُلُّ لُغَام رازِحَةبُغامى

بعد أن شرح المعري مفردة "البُغام" بأنها صوتُ الناقة عند التعب، والرّازخة: المعيبة التي كلت وقامت، باعتبار المادة اللغوية أساس القراءة التأويلية بها يرومُ الوصول إلى المعنى، ثم فتح النص على احتمالين تأويليين للبيت الشعري، قال وله معنيان:

أحدهما ما ذكره ابن جني عن أبي الطيب أين قال: " إن حارت عيني فَعُيُونُ رَواحلي عيني، وبغامهُنّبغامَى، يعني به طريقة الدّعاء فكأنه قال: أنه بهيمة مثلهن إنْ تحيّرت، كما إذا قال القائل: إن فعلت كذا فأنت حمار.

والثاني يقول: أنا أقتدي بعيون رواحلي إن حارت عيني فعينها تقوم مقام عيني" (المعري، 2009، صفحة 136).

وانفتاح التأويل على أكثر من معنى لدليل على عمق نص المتنبي اللانهائي الدلالة، والذي لا يمكن استنفاذه، فهو يوحي بأن المعنى موجود حقا في النص، ولكن القراءة تجعله منفتحا ومحتملا لعدة تأويلات، وإن كانت هذه التأويلات خاضعة لضوابط وقوانين نصية توجه قراءة الشراح نحو مسارات تأويلية محتملة ومسوغة من خلال فرض معنى أصلي أحادي أو معنيين أو لايمثل التأويل بالضرورة التأويل الوحيد.

6. خاتمة:

إن الدراسات حول شعر المتنبي قد تباينت وكشفت عن النتائج التالية:

- شكل شعر المتنبي مصدرا شعريا خصبا، ومرجعا ثريا في الثقافة العربية أثارمن حوله جدلا كبيرا حول قضايا اللغة والأدب والنقد، فأصبحت مجالا للتأويل والتفسير.
- إن معظم الشروح الشعرية التي تناولت شعر المتنبي، لم تخرج عن نسقها القديم، ولم تضف إلا قليلا من الإشارة اللغوية والبلاغية.
- إن القراءة الدلالية التي اعتمدها الشراح – على اختلافهم – ظلت عاجزة عن تفجير الطاقات الفنية التأويلية لشعر المتنبي.

❖ غلب الشرح اللغوي على منهج ابن جني، باعتبار النص الشعري بنية لغوية مركبة من وظائف لغوية تحقق تفاعلا بين البنية والدلالة.

❖ إن الحاجة ملحة إلى تجديد آليات شروح الشعر، للكشف عن مغالق نصوص المتنبي وإبراز ما فيها من طاقات جمالية وتخييليه.

التوصيات:

-إن الدراسات حول شعر المتنبي ينبغي أن تتخلص من مفهوم القصيدة،وما تراكم حولها من توصيفات في الشكل والبنية واللغة، لترتفع إلى النموذج الجمالي الذي تنشده المناهج المعاصرة.

7. قائمة المصادر والمراجع:

المؤلفات:

أبو البقاء العكبري. (1978). *التبيان في شرح ديوان المتنبي* (المجلد 1). بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر.

أبو العلاء المعري . (2009). *شرح ديوان أبي الطيب المتنبي (معجز أحمد)* (الإصدار 2). بيروت: دار المعارف.

أبو الفتح ابن جني . (2004). *الفسر " شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي* (الإصدار 1، المجلد 3). دار الينابيع.

أبو الفتح عثمان ابن جني . (2004). *الفسر " شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي* (ا الإصدار1،المجلد 1). دار الينابيع.

أبو الفتح عثمان ابن جني . (2004). *الفسر " شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي* (الإصدار 1،المجلد 2). دار الينابيع.

أحمد إبراهيم ، و آخرون. (2009). *التأويل والترجمة "مقاربات أولية لآليات الفهم والتفسير* (الإصدار 1). الجزائر: الدار العربية للعلوم ناشرون.

أحمد الودرني. (2009). *شرح الشعر عند العرب*. (الإصدار1) بيروت: دار الكتاب الجديد.

أحمد جمال العمري. (1981). *شروح الشعر الجاهلي* (الإصدار 1). القاهرة.

أحمد مبارك الخطيب . (2009). *الإنزياح الشعري عند المتنبي* . سوريا : دار الحوار للنشر و التوزيع.

جلال الدين السيوطي. (بلا تاريخ). *الإتقان في علوم القرآن*. بيروت: دار الكتب العلمية.

حسن بن حسن. (1992). *النظرية التاويلية عند ريكور*. مراكش: دار تنمل للطباعة والنشر.

مُحَمَّدالبازي. (2010). *التأويلية العربية "نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات "* (الإصدار 1). (منشورات الإختلاف) الجزائر: الدار العربية للعلوم.

سعيد بن كراد. (2012). *سيرورات التاويل "من الهرموسية إلى السيميائيات*. الجزائر: منشورات الاختلاف.

عبد الرحمان البرقوقي . (1986). *شرح ديوان المتنبي* (الإصدار 1). بيروت: دار الكتاب االعربي.

عبد السلام السيد . (2012). *تفسير الشعر عند المتنبي* (الإصدار 1). القاهرة: عالم الكتب.

عبد السلام هارون. (بلا تاريخ). *المعجم الوسيط*. طهرانالمكتبة العلمية.

عبد القاهر الجرجاني . (2001). *دلائل الإعجاز* (الإصدار 3). بيروت: دار المعرفة.

مُحَمَّد ابن مُحَمَّد ابن فورجة . (1987). *الفتح على أبي الفتح* (الإصدار 2). بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة .

مُحَمَّد ابن مكرم ابن منظور . (2000). *لسان العرب* (الإصدار 1). بيروت: دار صادر بيروت.

مُحَمَّد ابن يعقوب الفيروز آبادي. (بلا تاريخ). *القاموس المحيط ،(الإصدار5)*. بيروت: مؤسسة الرسالة.

مُحَمَّد بوعزة . (2011). *إستراتيجيةالتأويل*(الإصدار 1). (منشورات الإختلاف) الجزائر.

مُحَمَّد مكرم ابن منظور. (بلا تاريخ). *لسان العرب* . بيروت : دار صادر .

مُحَمَّد يعقوب الفيروز آبادي. (بلا تاريخ). *القاموس المحيط*. بيروت: مؤسسة الرسالة.

هشام القلفاط. (2004). *المتغير الأدبي* (الإصدار 1). إربد: دار الكتب الحديث.

الأطروحات:

عالمة خذري . (2014_2015). الخطاب الشارح في الشعرية العربية "شرح ابن جني لديوان المتنبي أنموذجا ". 119-120. باتنة.

المقالات:

هانس غيورغ غدامير . (16 02, 1999). مدخل إلى أسس فن التأويل. *مجلة فكر*، 89.